تعلمتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحرِّي الصواب في الفتيا

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على مُعلِّم البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ: فمن المعلوم من الدين ضرورة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للأمة التي أرسله الله تعالى إليها، فهو عليه الصلاة والسلام في أمته أول المؤمنين، ولن يأتي أحد بعده يستدرك عليه في تعليمه صلى الله عليه وسلم.

ولهذا وصف الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه بقوله: «فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ». صحيح مسلم ح٥٣٧.

وما أروع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه وهو يُبيِّن مكانته ومسئوليته التعليمية في الأمة: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ». مسند أحمد ح٧٤٠٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، واسناده قوي.

وما أحسن توظيف وتكليف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم للقيام بتلك المهمة التعليمية السامية حين ابتعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم وأوحى إليه أنْ يعلِّم الناس الكتاب، ويُبيِّن لهم ما نُزِّل إليهم من ربهم؛ فقال جل جلاله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (الجمعة: ٢).

وتعليم النبي صلى الله عليه وسلم للأمة كان بالقول والفعل والتقرير. وأمامنا ثُلة من أفعاله صلى الله عليه وسلم والتي تُعدّ قبسًا من أخلاقه الكريمة وتحرِّيه الصواب في رد الجواب. وإليكم الأمثلة:

أولًا: قصة المرأة المجادلة:

قال الله تعالى شأنه: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» (المجادلة: ١).

قال الإمام البغوي -رحمه الله تعالى-: نَزَلَتْ في خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ كَانَتْ تَحْتَ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ وَكَانَتْ حَسَنَةَ الْجِسْمِ وَكَانَ بِهِ لَمَمٌ فَأَرَادَهَا فَأَبَتْ فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، ثُمَّ نَدِمَ عَلَى مَا قَالَ. وَكَانَ الظِّهَارُ وَالْإِيلَاءُ مِنْ طَلَاقِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهَا: مَا أَظُنُّكِ إِلَّا قَدْ حَرُمْتِ عَلَيَّ. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ طَلَاقٌ، وَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ شِقَّ رَأْسِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجِي أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ تَزَوَّجَنِي وَأَنَا شَابَّةٌ غَنِيَّةٌ ذَاتُ مَالٍ وَأَهْلٍ، حَتَّى إِذَا أَكَلَ مَالِي وَأَفْنَى شَبَابِي وَتَفَرَّقَ أَهْلِي وَكَبِرَ سِنِّي ظَاهَرَ مِنِّي، وَقَدْ نَدِمَ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ تَنْعَشُنِي بِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَرُمْتِ

Upload by : altawhedmag.com

عليه، فقالت: يا رسول الله؛ والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرمت عليه، فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت (معه) صحبتي ونفضت له بطني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا.

وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي، وكان هذا أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك؛ أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه (الوحي) أخذه مثل السبات، فلما قضي الوحي قال لها: ادعي زوجك فدعته، فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد سمع الله قول التي تجادلك، الآيات، قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه؛ إذ أنزل الله «قد سمع الله...» الآيات. (تفسير البغوي: ٥/٣٩).

وعن خويلة (هي خولة) بنت ثعلبة قالت: في -والله- وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة «المجادلة»، قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي. قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت: فواثبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابا، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه.

قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يا خويلة؛ ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه». قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: «يا خويلة؛ قد أنزل الله فيك وفي صاحبك». ثم قرأ علي: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير» إلى قوله: «وللكافرين عذاب أليم».

قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مريه فليعتق رقبة». قالت: فقلت يا رسول الله، ما عنده ما يعتق. قال: «فليصم شهرين متتابعين». قالت: فقلت: والله إنه شيخ كبير، ما به من صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر». قالت: فقلت: يا رسول الله، ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنا سنعينه بعرق من تمر». قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعينه بعرق آخر. قال: «فقد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا». قالت: ففعلت.

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين، عن محمد بن إسحاق بن يسار، به وعنده: خولة بنت ثعلبة، ويقال فيها: خولة بنت مالك بن ثعلبة. وقد تصغر فيقال: خويلة. ولا منافاة بين هذه الأقوال، فالأمر فيها قريب. والله أعلم. هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة. (تفسير ابن كثير ٨/٣٦).

والوسق من التمر ستون صاعا، ما يعادل ١٣٣ كيلو غراما تقريبا. أما عرق التمر، ويقال: عرق التمر: فهو الزنبيل أو المكتل أو المقطف المصنوع من خوص النخيل لحفظ التمر، ويسع ١٥ صاعا، أو ٦٠ صاعا بحسب اختلاف الروايات. إسلام ويب.

فها هو النبي صلى الله عليه وسلم كلما ألحت عليه المرأة المجادلة في فاقتها وشدة حالتها وتفرق أهلها، ووحدتها وكبر سنها، وضياع عيالها؛ تمسك رسول

Upload by : altawhedmag.com

الله صلى الله عليه وسلم بما يعلمه من ربه دون أن يتأثر في فتواه بحال المرأة، أو تأخذه العاطفة بسبب.

ثانيا: زوجة أبي سفيان ونفقة عيالها:

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ». صحيح البخاري ح٥٣٦٤.

قال ابن بطال -رحمه الله-: في هذا الحديث من الفقه: أنه يجوز للإنسان أن يأخذ من مال من منعه من حقه أو ظلمه بقدر ماله عنده، ولا إثم عليه في ذلك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز لهند ما أخذت من مال زوجها بالمعروف، وأصل هذا الحديث في التنزيل في قوله تعالى: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) (النحل: ١٢٦). شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٤٢/٧).

ثالثا: ترك التسعير خوفا من العلي الكبير

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. تحفة الأحوذي ح١٣١٤.

قال الملا القاري -رحمه الله-: الْمَانِعَ لَهُ صلى الله عليه وسلم مِنَ التَّسْعِيرِ مَخَافَةَ أَنْ يَظْلِمَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ؛ فَإِنَّ التَّسْعِيرَ تَصَرُّفٌ فِيهَا بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا فَيَكُونُ ظُلْمًا، وَمِنْ مَفَاسِدِ التَّسْعِيرِ تَحْرِيكُ الرَّغَبَاتِ وَالْحَمْلُ عَلَى الِامْتِنَاعِ عَنِ الْبَيْعِ وَكَثِيرًا مَا يُؤَدِّي إِلَى الْقَحْطِ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٩٥١/٥).

رابعا: امتناعه عن الحكم على الذين خلفوا

عن كعب بن مالك رضي الله عنه بعد ما تخلف عن غزوة تبوك بغير عذر قال: فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ»؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سُخْطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ (ثقلا)، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَقْوَى قَطُّ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». فَقُمْتُ. (تفسير البغوي: ٣٩٩/٢).

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم في الأمر وانتظر الوحي الإلهي؛ لأن الحكم يتعلق بحكم في ذنب عظيم كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر فيه توجيهًا من ربه عز وجل، وهو ما عناه بقوله: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ».

خامسا: قصة للاستئناس

ذكر المناوي -رحمه الله تعالى- في فيض القدير (٢٥٣/٢) قول النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه رجل يسأله أن يعطيه من الزكاة: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا هُوَ فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ». (حكم الألباني) (ضعيف) انظر حديث رقم: ١٦٤٢ في ضعيف الجامع.

قال: (إن الله): أي: اعلم يا من جاءنا يطلب من الصدقة أن الله قد اعتنى بأمر الصدقة وتولى قسمتها بنفسه، و(لم يرض بحكم نبي) مرسل (ولا غيره) من ملك مقرب أو جهبذ مجتهد (في الصدقات) أي في قسمتها على مستحقيها (حتى حكم فيها هو) أي أنزلها سبحانه مقسومة في كتابه واضحة جليلة. قال الطيبي: (فجزأها ثمانية أجزاء) مذكورة في قوله تعالى: «إنما الصدقات» إلى آخر الآية.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com